شكل الحكم زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

د. فلاح نجم عبد الله العاني

أستاذ في كلية الإمام الأعظم - ديوان الوقف السني

عمر رضي الله عنه لم يكن أعرابيا يحكم عشيرة على حافة الصحراء، بل كان رئيس دولة يحكم جزيرة العرب بما فيها السعودية والكويت والبحرين والإمارات وعمان وقطر والأردن وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق ومصر وتونس وليبيا والمغرب والجزائر.

كان عمر بن الخطاب يحكم كل هذه الدول على اتساعها وعدد سكانها الكبير في ذلك الوقت، دون أن يتدخل السفير الأمريكي أو البريطاني، وكان يجلس في بيته في المدينة المنورة يصلي ويقضي يحكم ويعدل ويستقبل السفراء والرسل من الدول العظمى والصغرى دون ان يكون له الالوف من الحرس والحسم.

حينما شارف عمر على الموت انتدب عشرة من أفضل الصحابة رضى الله تعالى عنهم المقربين الورعين، وقال لهم: زكوا خليفة للمؤمنين من بعدي.

قالوا: وإذا اختلفنا.

قال: كونوا مع الأكثرية.

قالوا: فإن كنا خمسة لخمسة قال: ليكن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما معكم يرجح الكفة،ولكن لا يكون ابن عمر خليفة على المؤمنين.

قالوا: ولم لا يا أمير المؤمنين.

قال: إنه مطواع لزوجته.

لم يكن يرى عمر بن الخطاب ابنه راوي الحديث التقي الورع صالحا للقيادة لأنه مطواع لزوجته والدول لا تقاد بمشورة الزوجات، بل بالمجالس والهيئات.

نعود إلى صلب الموضوع، كان عمر بن الخطاب يسير يوما في جوف الليل وعند الفجر وسمع امرأة تقول لابنتها وهما تعدان الحليب للبيع: اخلطيه بالماء فيكثر فقالت الفتاة: للأم ولكن هذا حرام وقد نهانا عمر عنه

قالت الأم: اخلطيه فإن عمرا لا يرانا.

قالت الصبية لأمها: وأين رب عمر ألا يرانا.

سار عمر بن الخطاب وجمع بنيه في الصباح وقص لهم ما سمع في الليلة الماضية وقال لأولاده: والله لو كان بي حاجة للنساء ما تزوجت غيرها فمن منكم يرغب الزواج منها؟

قال عاصم بن عمر: أنا يا أمير المؤمنين.

وتزوج عاصم من ابنة بائعة اللبن وأنجبت له خليفة المسلمين الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز الذي ملأ الدنيا عدلا.

أمير المؤمنين الذي كان القوة العظمى الوحيدة في النظام العالمي الجديد آنذاك، زوج ابنه وفلذة كبده من ابنة بائعة اللبن لأنها ورعة تقية وتخاف الله ولم يذهب ليبحث عن نسب من اللصوص أو ممن لا ذمة لهم، حتى إذا سرقوا الدولة فروا من المدينة المنورة إلى عاصمة الرومان أو الفرس أو غيرها من عواصم الغرب الذي يمثل علينا كل أصناف الطهر بينما هو ليس أكثر من ... في ثياب تقية.

أمير المؤمنين كان يعلم أن العرق دساس وأن الدول لا تبنى باللصوص وحثالات المجتمعات الذين لا هم لهم إلا نهب ثروات المواطنين وترويعهم في أرزاقهم وإبقائهم تحت مستوى خط الفقر بألف عام.

أنسباء أمير المؤمنين لم يكونوا رؤساء مجالس لشركات، ولا سماسرة لبيع ثروات البلاد والعباد، ولم يكونوا فارين من وجه العدالة وإلا لاستجلبهم عمر من أقصى الأرض وأوقع عليهم الحد والقصاص، وقد جلب ابن عمرو بن العاص من مصر ليجلده ويحلق له شعره لأنه أذى مواطنا ويقال ذميا.

الدول لا تبنى إلا بالعدل، ولا تنهض إلا حينما يكون الحاكم والمحكوم محكومين للقانون وهما أمام القانون سواء، ذاك عمر وذا أنتم وهذا هو الله يسمع ويرى فهل أنتم منتهون..!!